القلاع والحصون السورية

(٤) قلاع جبال بيروت وقلعة (سوق الغرب)

تمهيد

ان جبال بيروت المشرفة عليها ولاسيما جبل الغرب الذي هو من قضاء الشوف مشهورة بجودة هوائها وعذوبة مائها وحسن موقعها وجمال منظرها . فلذلك شيدت فيها المعابد والهياكل للأمم القديمة التي تولت شؤونها واحتلت امكنتها من فينيقية وحثية واشورية وبابلية وكلدانية ومصرية ويونانية وايطورية ورومانية واسلامية وصليبية الى تترية وتركية . فامتزجت فيها الاديان امتزاج السكان . وتعاقبت عليها العقائد تعاقب الامم .فتركت لنا من آثارها اطلالاً تشهد بعظمة الاولين كما استنطقناها

وفي تسمية المدن والبلدان والقرى وتحليلها بحسب الاساطير والديانات براهين دامغة وادلة قاطعة على ترجيح بعض الآراء احياناً وان كانت ليست كلها مما يجزم بصحته فهي تنبيه الى التنقيب عما هو اسد رمي واصح مبنى لمن كان اطول باعاً واكثر اضطلاعاً

ولقد توالت على هذه البلاد فتوق كثيرة ونكبات متواصلة ولاسيما الحروب الاهلية وعداوات القيسيين واليمنيين التي أصلي ضرامها عصوراً طويلة واحقاباً مترامية في القدم حتى اتصلت شراراتها بلبنان منتقلة مع سكانه الحورانيين ومعظمهم من قبائل اليمن المتنصرة من غسان وقضاعة واياد ومن بقية القبائل الاسلامية وغيرها فدمرت كثيراً من قراه ومدنه التي غادر سكانها البلاد متفرقين في حوران واطراف لبنان وسورية وما اليهما

ومن القرى التي كانت في جبال بيروت وحولها وخربت كفرا وقلجين والقيجيمية وخلدة ومرتفون في الغرب . وطردلا وبشمقاب في الشحار . وكفرا والبصية والقديس في العرقوب وتيروش وصوفر في الجرد واشباهها

ولما كان بحثنا الآن يتناول اماكن الغرب وما يتصل بها نبحث قليلاً عن العامر منها والخرب

فقرى الغرب الشمالي العامرة اليوم ست عشرة قرية هي : سوق الغرب —

بمكين — عين الرمانة — الكحالة والرجوم — بخشتيه — بدادون — بليبل — دفون — الرجوم — القباطية — العين الجديدة — بسوس — حارة سالم — حومال — وعمالا — مزرعة محمود

وقرى الغرب الاعلى العامرة تسع هي : عاليه — عيناب — بيصور — شملان كيفون — عيشات — بحدليا — بحوارة — الغابون

فاذا ألقينا عليها نظرة عامة وجدنا في بعض اسمائها آلهة قديمة عبدتها الامم الغابرة وشيدت لها الهياكل . مثل (عين الرمانة) التي يترجح كونها باسم الاله (رمان) . و (بليبل) التي ربما كانت باسم (بيت إيل أبيل) [1] . (وبدادون) باسم الاله (أداد) او (هدد) او (أدون) . و (بمكين) باسم (مكة) [2] وهي الهة اشورية قديمة واصل معناها (بيت) . و(شملان) باسم الالهة (شيما) السامية و(عيشات) كأنها تحريف (عشتات) إلاهة الحرب عند المصريين . أو (عشات) الالهة الآرامية . و(بحدليا) باسم المجدل وهو الحصن بالكنعانية . وقرب عيناب (قبر اشمون) ولعله باسم الاله (اشمون) الفينيقي وهو اشبه باسكولاب الطب اليوناني . وفي تلك الضواحي (بشامون) من الغرب الاقصى . فلعلها تحريف (بيت اشمون) . و(عاليه) بمعنى المرتفعة . و(الغابون) الغاب . و(بيصور) بيت الصخر ونحو ذلك من الاسماء المختلفة اللغات والمعاني الدالة على تعاقب امم كثيرة على تلك الاماكن التاريخية

واما القرى الندرسة في هذه البقعة حول سوق الغرب فهي شرقيها (مشيمشمون) او (ميسون) [3] وفيها ينبوع ماء والى شمالها وراء السوق (البيرة) وهي كلمة فينيقية بمعنى الحصن وهما اثنتان البيرة الفوقا والبيرة التحتا اي العليا والسفلى وفيهما ينبوع ماء ايضاً . و(فلجين) [4] في وادي الغابون مقابل

(١) راجع مقالة (قلعة بحرصاف) في هذه المجلة صفحة ١٢٤ مجلد ٦٢ تقف على هذه الاسماء

(٢) انكر بعضهم كون اسم مكة المكرمة اشورياً وهو ظاهر الاشتقاق والمعنى

(٣) ويوجد محل باسم (عين ميسلون) على طريق الشام القديمة ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية باسم (ميسون) وقال انها جرت فيها موقعة عند الفتح الاسلامي كثر فيها القتلى فسميت (عين الشهداء) ثم اعيد لها اسمها القديم (٤) ينسب الى هذه القرية الشيخ زين الدين معتاد ابو الفوارس المؤرخ الدرزي المشهور باسم الفلجيني كان في زمن حمزة والحاكم المتوفى سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) وله كتاب تاريخ نادر او قليل الشيوع

(بحوّارة)[٥] . و(شمليخ) [٦] قرب بحوّارة . و(طرّدلا) في تلك الضواحي . و(بركة شطرا) مزرعة بين بيصور وعجدليا و(كفرا)[٧] الى جنوبي عيناب . و(صيحة)[٨] بين شملان وعيناب وتقول العامة انها تحريف (صحة) لجودة موقعها الصحي . و(الغابة)[٩] بين شملان وسرحول . الى غيرها مما ذكر في مناشير الاقطاع لامراء لبنان منذ القديم واندرس بعد ذلك بالفتن التي عمي وطيسها. ومما خفيت علينا وجوه تسمياته باللغات القديمة المندرسة

بلدة سوق الغرب

ان اسم بلدة (سوق الغرب) عربيٌ يدل على اتخاذها معرضاً للبيع والشراء في ايام امراء العرب الذين تولوا شؤون لبنان كالمعنيين والارسلانيين والتنوخيين. وفيها الى اليوم سوق يحمل اليها اهل القرى المجاورة حاصلاتهم ليبيعوها فيها . ومثلها في سورية (سوق وادي بَرَدى) وهي الابيلية [١٠] على طريق القطار الحديدي بين زحلة ودمشق بعد موقف (التكية) حيث تتولك الكهربائية الى دمشق

ولم نقف على دليل ان (سوق الغرب) هذه قامت على انقاض قرية اقدم منها[١١] ولكن حولها قرى كثيرة قديمة عامرة وخربة اخصها (عين الرمانة) و(بمكّين) و(كيفون) و(القباطية) . وكلها تدل على تسميات قديمة مرّ تغيير اثنتين منها . والثالثة (كيفون) السريانية بمعنى (الصخيرة) تصغير الصخرة[١٢]. والرابعة القباطية ولعلها تحريف (حامات) اي الحصن دلالة على (حصن السوق)

ولقد تفقدت هذه الاطلال واستنقطت تلك الآثار ايام كنت مدرّساً في (مدرسة سوق الغرب) الاميركانية سنة ١٩١٤ م . فعرفت كثيراً منها ولاسيما (قلعة الحصن) في سوق الغرب

---

(٥) هي القرية التي تديرها الكولونال تشرتشل بك الانكليزي مؤلف كثير من تواريخ لبنان بالانكليزية (٦) لعلها مركبة من كلمتي (شيا) و (مولوخ) او هي سريانية قديمة

(٧) كانت موطن المشايخ آل حمدان الدروز الذين كانوا شيوخ حوران مدة طويلة (٨) ابتنى فيها الدكتور ولبم فان ديك الاميركاني مصيفاً جميلاً (٩) كانت في هذه القرية اسرة بيت (الشعار) الدرزية وهي اليوم في عيناب بعد خراب الغابة (١٠) هي في وادي بردى ولها تاريخ جليل ذكرته في كتابي (تاريخ سورية المجوفة) المخطوط (١١) ولعل البلدة خربت عند خراب الحصن فلم يذكرها المؤرخون (١٢) في هذه القرية الآن بنو (الزين) من الشيعيين ولهم انسباء في جبل عامل

قلعة الحصن في سوق الغرب

ان صديق المرحوم مراد بك البارودي ولع بالآثار والكتب المخطوطة فاكثر البحث عنهما وتقصى في التنقيب حتى جمع مكتبة ومتحفة ثمينتين (١٣) وكان ينقب في آثار مسقط راسهِ سوق الغرب منذ صباهُ ويختلف الى تلول ورواب كانت هياكل او حصوناً فيجد فيها آثاراً تدل على قدمها ولاسيما التل الشرف على وادي نهر الغابون وعلى البحر الروماني وهو صعب المرتقى جميل الموقع في جوار قرية (كيفون) كان في الازمان الغابرة في القدم معبداً لاحد الآلهة القديمة . ثم حول الى حصن يحمي تلك الجهات من غزوات الفاتحين وغارات المحاصرين مدافعاً عن جميع الغرب الذي حولهُ . ويسمى (قلعة الحصن) او (رويسة الحصن) والرويسة عند العامة كل قمة ناتئة كالراس النافذ في الجو كأنها تصغير (رأسة) تأنيث رأس مثل هامة . وموقعهُ في طرف بلدة سوق الغرب بينها وبين قرية كيفون . فكان هذا التل الرائع الشرف على جميع ما حولهُ من البر والبحر يأخذ بمجامع البارودي وغيره ممن ينزلون البلدة مصطافين فيها . وكان القس هاردن الاميركاني قد تدير السوق نحو عشرين سنة مترئساً مدرستها وكثيراً ما كان يرافقهُ البارودي الى ذلك التل حيث يتجاذبان فيهِ اهداب الانباء القديمة فذكر لهُ مراراً انهُ رأى في مخطط (خارطة) اوربي اسم هذا التل (تل القديس جرجس) فاستنتجا ان الحصن حوّل الى دير باسم هذا القديس على حسب عادة القدماء ولاسيما بعد ان استظهرت المسيحية على الوثنية بعد الميلاد ببضعة قرون

فرغب البارودي في اقتناء هذا التل وسعى في ابتياعهِ فاقتناهُ قبل الحرب ببضع سنين ولما كنت مدرساً في مدرسة سوق الغرب اجتمعت بهِ مراراً في القرية ورافقتهُ حيث كان يحتفر فيهِ فأراني حجارة وعاديات ظهرت لهُ فسررت بها . وفي اواخر سنة ١٩١٤م استقدم اليهِ الدكتور الأثري كونتينو Dr. Contenau

(١٣) زرت هذه المكتبة والمتحفة مراراً وبين آثار متحفته قطعة ذهبية تمثل عشتروت (الزهرة) وبداها تحت ثديها البارزين والاشعة النورية تنصب على رأسها وهي من مخترعي الاثرية ايتاعها متى في ايام الحرب وقد احرزتها في زحلة من ضريح في محلة تل زينه فوق كرك نوح من البقاع وهي ذات قيمة تاريخية كما شهد صديق الاثري العلامة الاب سبستيان رونزفال اليسوعي الذي كتب عنها مقالة في احدى مجلات الآثار الفرنسية . واما المكتبة ففيها مخطوطات نادرة بينها كثير من المخطوطات الطبية القديمة وهناك مخطوطات تاريخية وطبية وادبية وقفت عليها (٢) راجع مجلة الآثار ٣ : ٤٢٤

الفرنسي المشهور بمعارفهِ الذي كان يبحث في آثار صيداء وضواحيها مع مكريدي بك من محافظي المتحف السلطاني في الاستانة لاستطلاع رأيهِ في هذا الطلل وعادياتهِ (٢) فرافقتهما اليهِ . وعلقت في مفكرتي ما قرّرهُ بشأنهِ واعددت ذلك مع بعض افكار اخرى اقتبستها من البارودي والآثار التي ظهرت لهُ بعد هذه الزيارة

لم يذكر التاريخ (سوق الغرب) الاّ على اثر رحيل بعض الأُسر الحورانية وغيرها اليها والى ضواحيها في تضاعيف القرنين الخامس عشر والسادس عشر وما بعدها . فكان اقدم الاسر التي جاءت سوق الغرب (بنو عطية) وهم بطن من بني فرح الغسانيين الذين كانوا هم وابناء عمهم (بنو قنديل) قد جاؤوا سورية وابثوا في جهاتها ولاسيما في لبنان وفلسطين وهم اليوم اخفاذ وعشائر كثيرة اخصها في هذه البقعة وما يجاورها بنو عطية والحداد والاسر الاخرى هي بنو الصليبي والبارودي وخلّف والحجار وفروعهم وبنو القماطي وفروعهم بنو النقاش في طرابلس وصيدا وبيروت . وفي السوق بقعة باسم (بيادر ابي فرح) وهي مفرق ست طرق تؤدي الى جهات مختلفة

اما عيثات فكانت من زمن قديم حاضرة المشايخ (التلحوقيين) المشهورين في لبنان وهم من عرب الجزيرة العراقية من بني عزّام قدموا لبنان مع الامراء المعنيين وتسلسلوا فيهِ الى يومنا ولهم ذكر مستفيض في تاريخهِ

وبيصور كانت حاضرة المشايخ آل القاضي التنوخيين الذين تفرع منهم آل ناصر الدين في كفر متى وآل امين الدين في عبيه وغيرهم ولهم آثار حسنة في تاريخ لبنان وبقاياهم الى عهدنا فيهِ وبقية القرى كانت مقر الامراء المعنيين والتنوخيين والارسلانيين الخ

والذي يظهر ان بني عطية لما ارادوا تشييد كنيسة لهم برخصة من حكومة ذلك العصر نقلوا ذلك الدير المسمى بالقديس جرجس من التلّ الموصوف الى محل الكنيسة اليوم . وحملوا بقية حجارتهِ الى هذا المعبد . وكان الامراء العربيون قد نقلوا اعمدتهُ وحجارتهُ الى حصونهم التي شيدوها حولهُ . فاصبح قاعاً صفصفاً

ومن الآثار التي ظهرت في هذا الطلل وحولهُ نستدل على قدمهِ ومناعتهِ وسيأتي وصفها في جزء تالٍ وهي مما احرزهُ المرحوم البارودي في متحفهِ لما احتفرهُ وشيّد في محلهِ داراً لصيفهِ

عيسى اسكندر معلوف